الفصل الأول

مشكلة روحية

من اللافت للانتباه أنَّ أسلوب العالم وأسلوب الله في التعامل مع مشكلة «**السُّكْر**» متشابهان إلى حَدٍّ كبير. يتفق الأسلوبان في تصنيف المشكلة، وكذلك يتفقان على أعراض المشكلة، وأيضًا على حقيقية أن السبب الرئيسي للمشكلة هو «**روحي**» في طبيعته! وبالرغم أن الكثيرين من الخدام والمشيرين المسيحيين يحاولون المزج بين الأسلوبين بسبب هذه القواسم المشتركة، لكنهما كمنظومتيْن فكريتيْن يتعارضان تمامًا في جوهريهما. لأنَّ المشكلة في صميمها تتمثل في هل «**الإدمان**» هو «**فكرة مَرضية**» أم مشكلة وثنية وسُكْر و«**خطية**» في طبيعتها. بالنظر مِن هذا المستوى العميق، لا يمكنك إدماج أسلوب العالم وأسلوب الله في نظرته ومواجهته للإدمان.

إنَّ أي أسلوب يجمعُ بين أفكار عالمية مركزها الإنسان مع الحقائق الكتابيَّة هو «**أسلوب دمجي مختلط**» كثيرًا ما يؤدي إلى إرتباك شديد للجميع، للمسيحيين وغير المسيحيين على حَدٍّ سواء. الأشخاصُ الذين يعانون من مشكلات تناول المخدرات يعانون بالفعل من الارتباك، وكثيرًا ما يكونون في احتياج شديد للحلول الحقيقية. يقدِّم الكتاب المقدّس هذه الحلول من سفر التكوين إلى الرؤيا. ونحن في هذا الكتاب سنقدِّم بعضًا من الحقائق الكتابية ذات الصلة التي تنطبق على «**الإدمان**» بدون «**الخلط**» بينها وبين كثير من الأفكار المغلوطة المستمدة من حكمة البشر

والعالم. إنَّ معظم الكتب التي صدرت مؤخرًا عن موضوع «**الإدمان**» تتضمن «**أساليب مختلطة**» تسبب التشويش والارتباك للمسيحيين.

الهدف الآخر من هذا الكتاب هو تقديم المبادئ الكتابيَّة اللازمة للتغلُّب على كل أنواع الإدمان، خاصة إدمان المواد الكيميائية. لقد كتبَ اللهُ أعظم كتابٍ على مَر الأزمنة، وهذا الكتاب يتعرض لهذه المشكلة الخطيرة بشكل أكثر فاعلية عن أي كتاب آخر ستقرأه في حياتك. إنني أرجو أن تنكشف لك كلمة الحق الإلهي بقوة الله الممنوحة بالروح القدس؛ لأنك لا تقدر على التغلُّب على إدماناتك وشهوات قلبك الوثنية بدون الله.

هناك شيء أتعمَّد تجنبه في هذا الكتاب وهو الاستسلام إلى فكرة تقديم عشرة أو عشرين أو خمسين خطوة للتغلب على الإدمان. لكني أريد أن أقودك إلى علاقة روحية سويَّة مع إله فريد وعظيم هو إله الكتاب المقدّس. الخطوات الوحيدة المُراد اتباعها لترسيخ علاقة مع الله هي أن تتضع في قلبك، وتعترف بخطاياك وبطبيعتك الساقطة، وتضع ثقتك في المسيح وحده، وتطلب من الروح القدس أن يقودك حتى تستطيع أن تحيا حياة مُرضية للرب. إذا رغبت في بعض الخطوات المساعدة لوضع إطار لعملية التغيير التي ستخوضها؛ فأنا أنصحك بشدة بالرجوع إلى ملحق «ك» وتنفيذ الإرشادات الواردة فيه.

إنَّ الأسلوبَ الكتابيّ لمواجهة الإدمان يقدِّم أملاً وفرصةً للنجاح إذا ما اجتهدت في أن تكون مُنفتح الذهن وقابل للتعلُّم. ربما سيكون عليك أن تلقي جانبًا بعض أفكارك القديمة وتستبدلها بما يقوله الله في كلمته المقدّسة بشأن هذا الأمر، لكن الله يعدك بأن هذا سيعود بالفائدة عليك. نحن نشجعك على أن تجد صديقًا مسيحيًّا موثوقًا فيه يستطيع أن يتلمذك

من خلال استخدام هذا الكتاب مع الكتاب المقدّس، ومن ثمّ تستطيع أن تنمو في علاقتك بالمسيح. أصلّي إلى الله لكيما يمنحك البصيرة والقوة والنعمة لتتغلب على إدمانك بطريقة كتابيَّة.

شهادة عن قوة كلمة الله

منذ عدة سنوات تولدت لديّ فكرة البدء في عمل برنامج كتابيّ يتضمن إقامة لمدمني المخدرات في مركز المشورة الذي أعمل فيه كمدير للخدمات الطبية. ولقد منحني المدير التنفيذي تصريحًا للبدء في هذا المشروع التجريبي. كان المقصود من «**البرنامج الكتابي**» أن يستنسخ برنامج «**الأسلوب المختلط**» الذي كان يُعمل به لأكثر من عشر سنوات هناك. على سبيل المثال، إذا كان البرنامج «**المختلط**» يتطلب جلسات المساعدة الذاتية Self help، كان البرنامج الكتابيّ يتضمن لقاءات نقاشية لدراسة الكتاب المقدّس. وإذا كان البرنامج المختلط يتطلب جلسة جماعية عن الغضب مستمدة من منظور دنيوي، فإن البرنامج الكتابي يتطلب جلسة جماعية عن الغضب من منظور كتابيّ وهكذا. كنتُ أريد أن أثبت أنّ الكتاب المقدّس تعرَّض لكل موضوع يتعرض له البرنامج «**المختلط**» وبفاعلية وقوة أكثر. كان البرنامج الكتابي يتضمن منهجًا كتابيًا محضًا لمواجهة الإدمان.

أثناء إجراءات الدخول للمركز يقوم المنسق المسؤول عن المنشأة ككل بمراجعة الشروط ليحدد ملائمة المشتركين للعلاج. وأصدرتُ تعليماتي للمنسق أن يضع اختيارًا أمام المشتركين باستخدام العبارة التالية: «**نحن نوفر لك خياريْن لتختار منهما حسبما تريد: بمقدورك اختيار الالتحاق ببرنامج المساعدة الذاتية التقليدي الذي نستخدمه لمساعدة المدمنين**

لأكثر من ١٠ سنوات، أو بمقدورك أن تختار الانضمام إلى برنامج تجريبيٍّ طورناه حديثًا يقتصر على تعاليم الكتاب المقدّس بشأن الإدمان والغضب والاكتئاب والمشكلات الحياتية. أي البرنامجيْن تفضّل الانضمام إليه؟» في هذه الحالة يكون لطالب المشورة فرصة اختيار منهج البرنامج الذي سيعالج به مشكلاته![1] وكان من الواضح أنه في بعض المرات كان الشخص يرغب في المزيد من المعلومات عن البرنامج الكتابي، وكنا نقدِّم له ما يلزم من معلومات. كنا نقول لأحد الأشخاص أن الكتاب المقدّس والدراسات الكتابية حلَّت محل الكتب الدنيوية، وأن الاجتماعات الكنسية والخدمات التعليمية والمشورة الكتابية حَلّت محل جلسات المساعدة الذاتية ذات الطابع الدنيوي.

وخلال فترة إقامة هذا البرنامج التي استمرت ستة أشهر فقط، تطوع للانضمام إلى هذا البرنامج ١٢ شخصًا. وطلبتُ من صديقي وزميلي في العمل، Don Bowen، أن يكون المشير الأساسي في البرنامج الكتابي. وقام Don بعمل رائع في تعليم الكتاب المقدّس لهؤلاء الرجال. وقمتُ أنا بالمساعدة في مجموعات دراسة الكتاب، وطلبت من بعض أعضاء الكنائس المحيطة بنا أن تساعدنا في التلمذة وتقديم المشورة لهؤلاء الشباب. والحق يُقال لقد كان مجهودًا جماعيًّا من مسيحيين متحدين من عدة طوائف مختلفة أرادوا أن يمجّدوا اسم الربّ يسوع المسيح بإعلان حق كلمة الله لهؤلاء الرجال في محبة مسكوبة من الروح القدس.

كان من السهل تحديد العديد من التناقضات الظاهرة بين الأسلوبين جنبًا إلى جنب تحت نفس السقف. أولاً: طُلب من المشتركين في البرنامج

١ الملاحظة اللافتة أن معظم الرجال الذين كنا نحاول مساعدتهم اختاروا الأسلوب «**الدمجي/المختلط**» على البرنامج الكتابي.

الكتابي أن يتناولوا الوجبات معًا، وهو ما عزز لديهم إحساسًا بالألفة على عكس البرنامج الآخر حيث كان «**كل شخص يتكفل بذاته**». ثانيًا، طُلب من المشتركين أن يصلّوا لأحدهم الآخر كمجموعة وبشكل شخصي. مرة أخرى نمت محبة أخوية حقيقية بينهم. ثالثًا، لم يكن تركيز البرنامج الكتابي «**التخلّص من المخدرات**» أو البقاء في حالة «**الصحو والخلو من المخدر**»، وإنما كان التركيز على شخص المسيح وحده. وعندما كان التركيز الصحيح على المسيح ثابتًا، ظل المشتركون في البرنامج الكتابي في حالة الصحو والخلو من المخدر؛ لأنه تم تشخيص مرض الخطية ومعالجته بشكل صحيح.

أحد الاختلافات البارزة بين البرنامجين تمثَّل في حفاظ المشتركين في البرنامج الكتابي على أماكنهم جميلة ونظيفة. كان هناك مدخنون في كلا البرنامجين لكنك كنتَ تجدُ صعوبةً لتجد عُقب سيجارة على أرضية غرف المشتركين في البرنامج الكتابي، بينما كنتَ تجد أعقاب السجائر بكثرة في غرف المشتركين في «**البرنامج المختلط**». الأكثر من ذلك أن المشتركين في البرنامج الكتابيّ قد زينوا أماكنهم بزراعة النباتات، وتشذيب الحشائش، وأعمال التجميل في أماكن معيشتهم. بشكل عام ساد جوٌ من المحبة والدفء والقبول والمساندة والاحترام في مقرات سكنهم، والجو العام الذي أظهره المشتركون في البرنامج الكتابي لم أشاهده في أي برنامج ذات طبيعة دنيوية لعلاج المخدرات والكحوليات سنحت لي فرصة بزيارته في حياتي.

كان الاختلاف الأكثر أهمية بين البرنامجيْن واضحًا في جودة ونوعية حياة معظم المشاركين في البرنامج الكتابي بعد تغيُّرهم. وحفزتني قوة

الله المذهلة التي كانت تعمل في هؤلاء الشباب على تأليف هذا الكتاب. لا أدّعي أنني أعرف كلَّ شيء عن كلمة الله، ومع ذلك أؤمن أنه عندما يحترم المسيحيون المؤمنون كلمة الله، فإن الله يُسرُّ بأننا نصغي له ويخبرنا بحقيقة الإدمان والاحتياجات الحقيقية لقلوبنا البشريّة. أنتَ تستحق الحلول الحقيقية وهي غير موجودة إلا في كلمة الله. لا تقلل مِن قدر نفسك عندما تصدِّق أكاذيب إبليس والحكمة الدينوية التي لا تريد مَنك سوى أن تبقى «صحوًا وخلوًا من المخدر» فقط على هذه الأرض بدون أيِّ رجاء في الحياة الأبدية. إنَّ الله يريُد لك هدفًا أعلى هو عبادته وحده؛ لأنك عندما تنجح في هذا الهدف، فإنك ستحصل على كلِّ من السماء والأرض.

حلٌّ روحي

يظهر تعاطي المخدرات والإدمان[٢] كمشكلة جسدية؛ لكن الأسباب الجِذرية تنتمي للعالم الروحاني في قلب كلِّ واحد منّا. وحتى الكثيرون من غير المؤمنين والكثير من البرامج الدنيوية التي تعالج الإدمان كمشكلة ذات طبيعة «**روحية**» تختص بالقلب، لكن أسلوبهم «**الروحي**» في كثير من الأحيان لا يكون مسيحيًّا ولا يكون مبنيًا على أساس كتابي. يرى غير المؤمنين الإدمان باعتباره «**مرَض**» يصيبُ المدمنين، الذين يحتاجون لـ «**قوة عُليا**»، لأنهم بلا قوة وعاجزين عن التغلب على الإدمان. ولهم مُطلق الحرية في أن يختاروا «القوة العُليا» التي تناسبهم، لكن مَن الذي يمثّل «**القوة العُليا**» الحقيقية؟ هو الشخصُ الذي يختار «**إلهه**». في هذه الحالة هل تملك «**القوة العُليا**» قوةً أكثر من هذا الشخص

٢ قمتُ بإعادة تعريف المصطلح الدنيوي «**الإدمان**»، وشرحتُ باستفاضة تعريفي الجديد بدون فكرة السلوك القهري، وتعرضتُ للأمور الخاصة بالخطيّة في هذا الموضوع في فصل بعنوان «**إعادة تعريف المصطلحات الدنيوية**».

الذي يختارها لتكون «**قوته العُليا**»؟ قد يكون هذا أسلوبًا «**روحانيًا**»، لكن هل يكون هذا أسلوبًا مسيحيًّا؟ هل هذا أسلوب كتابي؟

هل من الآمن أن يلجأ المسيحيون إلى أي أسلوب «**روحاني**» للعلاج؟ أيُّ «**أرواح**» يلجأ إليها المسيحيون في هذا النوع من الأسلوب «**المختلط**»؟ قد يتفق هذا الأسلوب مع الكتاب المقدّس في بعض النواحي، لكنه يتناقض مع الكتاب المقدّس في نواحي أساسية أخرى. هذه أسئلة صعبة لابد أن يتأملها كلُّ مؤمن بذهن منفتح نحو إله الكتاب المقدّس. شكرًا لله أنّ مشكلة القلب بعمقها وطبيعتها الروحية قد تعرَّض لها الكتاب المقدّس بشكل وافٍ وكافٍ. المصطلحات الخاصة بهذه المشكلة القلبية قد تكون مختلفة عما تسمعه في المعتاد، لأن الكتاب المقدّس يصف هذه المشكلة ب «**الوثنية**» و«**السُّكْر**».

في الصفحات التالية أستخدم مصطلحات مثل «**تعاطي المخدرات**» و«**متعاطي المخدرات**» في بعض الأحيان، وكذلك مصطلحات مثل «**المدمن**» و «**الإدمان**»، لأنها المصطلحات التي يفهمها معظم الناس. ومع ذلك فالمسيحي الذي يملك قلبًا جديدًا وهُوية جديدة في المسيح، يفهم أن «الإدمان» هو مرضٌ جسدي لمشكلة روحية أعمق في توجهات القلب تُسمى عادة ب «**الوثنية**» في الكتاب المقدّس. أمّا بالنسبة لتعاطي المخدرات تحديدًا، فالكتاب المقدّس يصف تأثيرات «**الإدمان**» بكلمة «**السُّكْر**».

اختلالٌ في العبادة

بعض الناس يفهمون أن كلمة «**العبادة**» تقتصر فقط على شيء يحدث داخل الكنيسة فقط خلال القداس. ومع ذلك فهذا المفهوم أبعد ما يكون

عن الحقيقة. «**العبادة**» هي «**توقير أو إجلال يُقدَّم لإله أو قوة فائقة للطبيعة**»[٣]، وكل فِكر أو كلمة أو فِعل هو عبادة. على سبيل المثال، إذا كنت تعمل محاسبًا، وتبذلُ أقصى ما في وسعك لتمجد الله في عملك، حينئذٍ تتضمن وظيفتك أعمالاً تعبدية. نفهم هذا التعريف لكلمة «**عبادة**» من الكتاب المقدّس حيث تقول رسالة كورنثوس الأولى «**فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا، فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ**» (كورنثوس الأولى ١٠: ٣١).

بينما تُعرَّف «**الوثنية**» بأنها «**عبادة شيء مادي كإله أو التعلُّق المسرف والتمسُّك المفرط بشيء ما**»[٤]. لاحظ كلمة «**المسرف/ المفرط**»، بمعنى أنها تقود إلى تفكير وتصرُّف متطرفيْن. إنها «**تعلُّق**» بـ «**شيء مادي**» بغرض «**العبادة**». وبالنسبة للإنسان المسيحي تُعتبر عبادة شيء مادي خطيةً. وكذلك تعتبر عبادة الذات خطيةً. لقد خُلق المسيحيون بيد جابلهم ليعبدوه هو. كل البشر يمارسون العبادة. كل شخص يعبد إمّا شيئًا ماديًا، أو أنفسهم كآلهة، أو يعبدون إله ديانة مزيفة، أو الإله الواحد الحقيقي: الربّ يسوع المسيح.

كذلك كلمة «**الوثنية**» يمكن انطباقها على أية لَذة تُشتهى بإفراط بحيث تستبدل شهوة عبادة الله. هذا قد يتضمن على سبيل المثال وليس الحصر: المخدرات، والكحوليات، والجنس، والطعام، والقمار، والنوم، والتليفزيون، والتدريبات البدنيَّة، والرياضات المختلفة، وألعاب الفيديو! تصف رسالة تيموثاوس الثانية الأشخاص الذين يشتهون لذة وثنية أكثر

٣ قاموس Merriam-Webster.

٤ قاموس Merriam-Webster.

من شهوة إكرام الله باعتبارهم «**مُحِبِّينَ لِلَّذَّاتِ (الملذات الإدمانية) دُونَ مَحَبَّةٍ للهِ**». إنّ محبة اللذّة قد تتضمن تجنُّب الألم. الفكرتان تمثلان وجهيْن مختلفيْن لنفس العُملة. محبة اللذة وتجنُّب الألم (أو الهروب) كلاهما يغذي أي نوع من الإدمان.

إنَّ وثنية السُّكْر وتعاطي المخدرات والإدمان لا تمثل مشكلة جديدة بالنسبة للربّ. هذا الكتاب سيخاطب على وجه التحديد الخطايا المتعلقة بتعاطي المخدرات والإدمان المادي للمخدرات والكحوليات. ومع ذلك فالمبادئ الكتابيَّة للتغلُّب على مشكلة إدمان وتعاطي المخدرات تنطبق أيضًا على مختلف الملذّات الوثنيّة المذكورة سابقًا، ولأن هذه الملذّات يمكن اختبارها بإفراط، يمكن أن تجعل الفرد يهمل مسؤولياته، ويمكن أن تقود إلى تعقيدات وتبعات مُدمرة.

تعريف كلمة «القلب»

في اللغة الإنجليزية هناك معنى حرفي ومجازي لكلمة «**القلب**». حرفيًّا يمثل القلب عضوًا في البدن يضخ الدم في كل أنحاء جسمك ليصل إلى كل أطرافك. وجميعنا نتفق على أن القلب يمثل عضوًا لا غنى عنه في الجسد المادي.

مجازيًا، يمثل القلب العضو الروحاني الداخلي والأعمق في الكيان البشري. وعادة ما يستخدم الكتاب المقدّس كلمةً «كارديا Kardia» في اللغة اليونانية كترجمة لكلمة «**قلب**»، وهي تُعرَّف مجازًا بـ «**النفس أو الذهن، لأنه منبع أو مَجمع الأفكار والشهوات والرغبات والتذوقات**

والعواطف والمقاصد والمساعي»[٥]، ويعلِّم الكتاب المقدّس أنَّ القلب الروحاني للفرد يمثِّل جوهر هذا الفرد، وهذا الجوهر هو الذي يعيش إلى الأبد في الأبدية[٦].

عندما أذكر كلمة «**قلبك**» في هذا الكتاب، فأنا أعني إنسانك الداخلي والروحاني الذي يتألف من ذهنك وروحك ونفسك. أنت خليط عجيب من الجسد المادي والجسد الروحاني. وبالرغم أن جسدك المادي يتألف من أعضاء دقيقة مثل مخك والعمود الشوكي والجهاز العصبي، فإن جسدك الروحاني به «**جوانب**» دقيقة أيضًا كالتي ذكرناها سابقًا: «الأفكار، والشهوات، والرغبات، والتذوقات، والانفعالات، والمقاصد، والمساعي»[٧] وكذلك يتضمن إنسانك الروحي ذهنك وإرادتك وعواطفك.

أرغبُ في أن أتعامل مع إنسانك الروحي في هذا الكتاب. هناك تفاعل بين الإنسان المادي والإنسان الروحاني (الباطن). ومع ذلك فإن «**الإرادة، والنفس، والتوجه القلبي، والأفكار (أو الذهن/العقل)**» كلها مصطلحات ذات طبيعة روحية متميزة. وأكثر ما يَهم الله هو قلبك.. العضو الروحاني. يصف الكتاب المقدّس في سفر صموئيل الأول ١٣: ١٤ داود على أنه إنسان «**حسب قلب**» الله عندما يقول: «**قَدِ انْتَخَبَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِهِ**». لابد أن يُجري الربّ عملية جراحية روحية في القلب لكل واحد منا حتى تتغيَّر قلوبنا من الأنانية بالروح القدس لتصير قلوبًا تطلب الربّ

٥ الفهرس الشامل للكتاب المقدّس، Strong, J.، طبعة ١٩٩٦. هذا الفهرس يعرض كل كلمة في نص الطبعة الإنجليزية الشائعة للأسفار القانونية، وكل آية وردت فيها كل كلمة بترتيب منظم (نسخة إلكترونية). Woodside Bible Fellowship: Ontario.

٦ بطرس الأولى ١: ٩، يوحنا ١٠: ٢٨؛ ٦: ٥٨، تيطس ١: ٢؛ ٣: ٧.

٧ فهرس Strong طبعة ١٩٩٦.

وتخدمه. يطلب مزمور ١١٩: ٣٦ من الربّ: «**أَمِلْ قَلْبِي إِلَى شَهَادَاتِكَ، لاَ إِلَى الْمَكْسَبِ**».

ببساطة

خلال هذا الكتاب، ببساطة ضع أمام عينيك أن هناك طريقيْن في هذا الحياة لنرتحل فيهما. الطريق الأول هو اتباع الجسد ورغباته طلبًا للّذة وتجنبًا للألم. بكلمات أخرى مَن يسير في هذا الدرب فهو يعيش لإرضاء نفسه. يسمى اللاهوتيون هذا النوع من النمط الحياتي بـ «**الوثنية**» أو «**عبادة الذات**». الطريق الثاني هو اتباع قيادة الروح القدس. ومَن يسير في هذا الدرب فهو يعيش لإرضاء الربّ. ويسمي اللاهوتيون هذا النوع من النمط الحياتي بـ «**المسيحية**»، وفهم صحيح «**للعبادة**». إذا تذكّرت هذيْن الطريقيْن على مدار قرائتك لهذا الكتاب، فإنك ستحصل على حكمة أعظم وفهمًا أعمق لمحتواه. حاول ألا تعقِّد الأمور أكثر مما هي عليه!

إنّ حكمة الله تتميز بالبساطة والعمق في ذات الوقت. وبمقدور الله فقط أن يقود هذا العمل بنجاح. قد يدهشك أن الله قد أعطى شعبه حلول الإدمان في الكتاب المقدّس. ويستطيع المتعاطي أو المدمن المسيحي للمخدرات أن يجد رجاءً عظيمًا ونصائح عملية في كلمة الله. ورغبتي أن يساعدك هذا الكتاب على أن ينير لك السبيل نحو طريق الله.